ألف حكاية وحكاية (٣٢)

سيدة الأزهار

وحكايات أخرى
يرويها

يعقوب الشارونى



رسـوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

ليس معنا فى البيت أحد!

كان عبدُ اللهِ بنُ معاويةَ صديقًا للخليفةِ الأموىِّ الوليدِ بنِ عبد الملكِ (٨٦ هـ)، فجلسا يومًا يلعبانِ الشطرنج، فدخلَ الحاجبُ وقال: "رجلٌ من الأشرافِ يطلبُ السلامَ على الأميرِ"

فقالَ الخليفةُ: "أنا مشغولٌ."

فقالَ عبدُ اللهِ: "اسمحْ له، ونضعُ منديلاً على رقعةِ الشطرنجِ، ثم نسلمُ على الرجلِ، وبعدَها نُكملُ اللعب."

فوافقَ الخليفةُ، وسمحَ للرجلِ بالدخولِ، فدخلَ رجلٌ له هيبةٌ، فسلَّمَ وقالَ: "أتيْتُ أيها الأميرُ، فلم أشأ أن أواصلَ سفرى قبل أن أسلِّمَ عليكَ."

فشكرَهُ الخليفةُ. ثم أرادَ أن يُفاتِحَهُ فى الحديثِ، فسألَهُ قائلاً: "يا خالُ، هل حفِظْتَ القرآن؟"

قال الرجلُ: "لا .. شغلَتْنى عنه شواغلُ."

قال الخليفةُ: "هل حفِظْتَ من سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ أو أحاديثِه شيئًا؟"

قال الرجلُ: "لا .. شغلَتْنى عنه شواغلُ."

قال الخليفةُ: "إذن فأنت تعرفُ بعضَ أحاديثِ العربِ وأشعارِها."

قالَ الرجلُ: "لا."

سألَهُ الخليفةُ: "إذن فأحاديثَ العجمِ وآدابَها."

قال الرجلُ: "هذا شيءٌ لم أطلُبْه."

فالتفَتَ الوليدُ إلى عبدِ اللهِ، ورفعَ المنديلَ عن رقعةِ الشطرنجِ،

وقالَ: "هيا نكملْ ما كنا فيه."

قالَ عبدُ اللهِ بن معاويةَ: "ولكنْ يا سيدى الأمير .."

يريد أن ينبهه إلى وجودِ الضيفِ، فقالَ الخليفةُ:

"واللهِ ما معنا فى البيتِ أحدٌ."

فلما سمعَ الرجلُ ذلك، خجلَ وخرجَ.



الأعوام كأنها دقائق

حكَتْ زوجةُ أحدِ الأصدقاءِ الحكايةَ التاليةَ، قالَتْ:

وقعَ حادثُ تصادمٍ للسيارةِ التى كنتُ فيها، أثناءَ سفرى فى مهمَّةٍ تتعلَّقُ بالعملِ. ونقلَنى رجالُ الإسعافِ إلى أقربِ مستشفى، وكان يبعدُ عن بيتِنا مائةَ كيلو مترٍ تقريبًا.

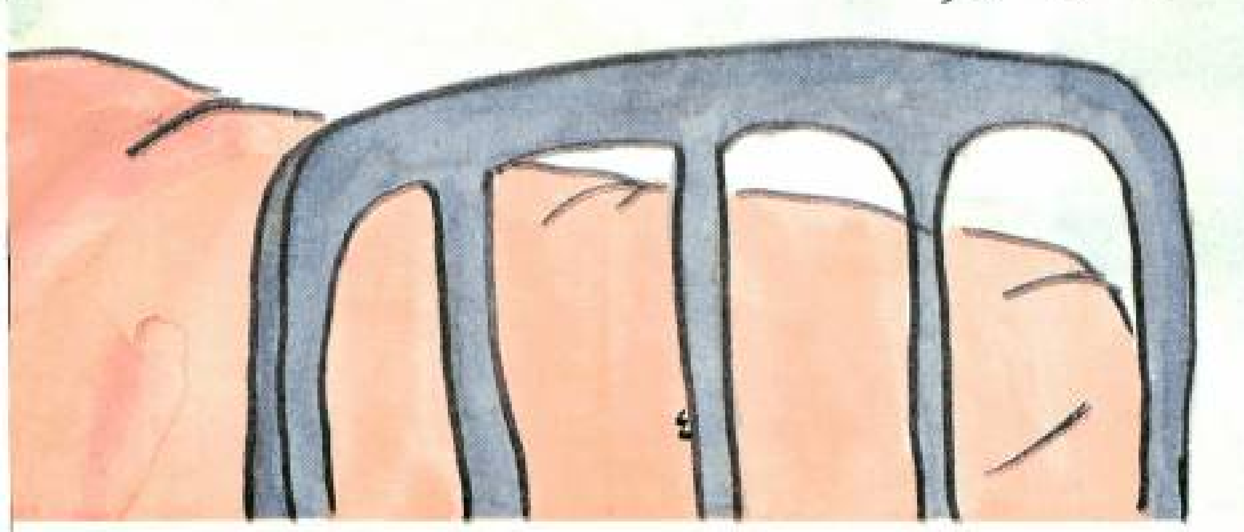
ولم يستطِعْ زوجى أن يلازمَنِى فى المستشفى، لكى يستطيعَ رعايةَ أطفالِنا الثلاثةِ الصغارِ.

وتذكرتُ ذاتَ صباحٍ، وأنا فى سريرِ المستشفى، أنَّ ذلك اليومَ هو عيدُ زواجِنا العاشرُ، فشعرْتُ بالأسى، لأنَّنا نقضِى هذا اليومَ وكلٌّ منَّا بعيدٌ عن الآخر. وشعرْتُ بالقلقِ على أسرتى وأولادى.

لكنَّ روحى المعنويةَ ارتفعَتْ، عندَما أحضَرَتْ لى المُمَرِّضةُ قربَ الظهرِ، باقةً كبيرةً من الوردِ.

وانحدرَتْ دموعى عندما قرأتُ الرسالةَ المرفقةَ بالوردِ، والتى كتبَها زوجى بخطِّه الذى أعرفُهُ. لقدْ كتبَ يقولُ:

"عشرةُ أعوامٍ بصحبتِكِ كأنَّها عشرُ دقائِقَ، وعشرُ دقائقَ بدونِكِ كأنَّها عشرةُ أعوامٍ!"

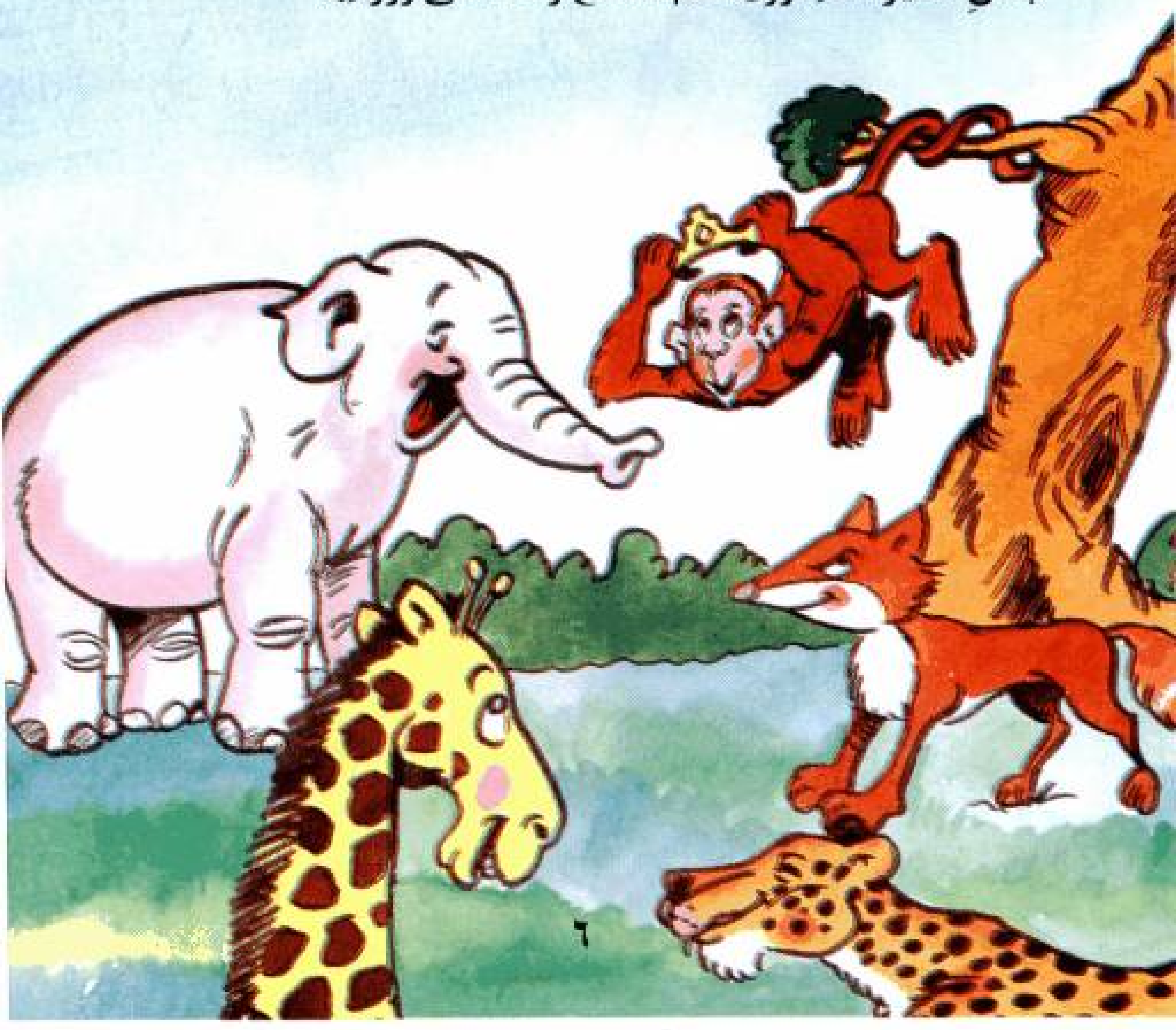




القرد والتاج!!

ذاتَ يومٍ، ماتَ الأسدُ ملكُ الحيوانـاتِ، فعقَـدَتِ الحيوانـاتُ اجتماعًا لاختيارِ ملكٍ جديدٍ.

واتفقَتِ الحيواناتُ على أن مَنْ يكونُ التاجُ على حجمِ رأسِهِ، يصبحُ الملكَ الجديدَ. حاولَ الجميعُ وضعَ التاجِ، لكنَّهُ لم يناسِبْ أحدًا: كان واسعًا على بعضها، وضيقًا على البعضِ الآخرِ، وكـانت لبعضِ الحيواناتِ قرونٌ، فلم تستطعْ وضعَهُ على رؤوسِها.



أخيرًا أمسكَ القردُ بالتاجِ، وقامَ ببعضِ الحركاتِ المضحكةِ، فضحكَتْ كلُّ الحيواناتِ وأُعجِبَتْ به، واختارَتْه ملكًا عليها.

لكنَّ الثعلبَ لم يقبلِ اختيارَ القردِ ملكًا، فذهَبَ إليه، وقالَ بخُبْثٍ:

"أنا أعرفُ مكانَ كنزٍ كبيرٍ. وبما أنك أصبحْتَ الملكَ، فهو من حقِّكَ."

ثم همسَ في أذنِ القردِ يُخبرُه عن مكانِ الكنزِ.

وبغَيْرِ تفكيرٍ، اندفعَ القردُ يجرى بأقصى سرعةٍ إلى مكانِ الكنزِ، فسقطَ في فخٍّ كان الثعلبُ المكارُ قد وضعَهُ في طريقِهِ!!

وعندما رأَتِ الحيواناتُ ما حدثَ للقردِ، انتزعَتِ التاجَ منه وهى تقولُ:

"إذا كنتَ لا تستطيعُ رعايةَ نفسِكَ، فكيف تستطيعُ رعايَتَنا؟"

ثم أبعدَتْهُ عن العرشِ.



سيِّدة الأزهار

كنت أتمشَّى فى الرّيفِ ذاتَ صباحٍ، فجذبَتْنى رائحةٌ ذكيَّةٌ، تصدرُ من حديقةٍ رائعةٍ، امتلأتْ بالأزهارِ.

ورأيْتُ بَيْنَ الأزهارِ سيِّدةً عجوزًا، اعتقدْتُ أنَّها صاحبةُ هذِهِ الحديقةِ نادرةِ الجمالِ.

هتفْتُ بالسَّيِّدة قائلاً: "هذا مكانٌ بديعٌ."

فأجابَتْ: "هل تُحِبُّ الأزهارَ؟ إذن تعالَ."

ولمَّا وقفْتُ إلى جانبِها، لم ترفعْ بصرَها ناحيَتى، بل ظلَّتْ تنظرُ إلى أزهارِها وتتحدَّثُ عنها فى بساطةٍ وحُبٍّ وخبرةٍ.



حدَّثَتنى عن تاريخِ كُلِّ زهرةٍ، وعن الفروقِ بين ألوانِ وأحجامِ ورائحةِ كُلِّ زهرةٍ والأزهارِ الأخرى.

وتصوَّرْتُ وأنا أستمعُ إليها، أنَّنى لم أشاهدْ زهرةً من قبلُ مُشاهدةً حقيقيَّةً، فقد كانَ وصفُها لكلِّ زهرةٍ يُساعِدُنى على أن أعرفَها وأُميِّزَها حتَّى فى ظلامِ اللَّيْلِ.

وفى اللَّحظةِ الأخيرةِ، عندما رفعَتِ السَّيِّدةُ العجوزُ رأسَها لتودِّعَنى، رأيْتُ غشاوةً بيضاءَ تغطِّى عينَيْها .. كانت السَّيِّدةُ لا ترى!!

وأدركْتُ أنَّ سيِّدةَ الأزهارِ قد أحسنَتِ استخدامَ عينَيْها قبلَ أن تفقدَ البصرَ، فعرفَتْ كيف تتمتَّعُ الآنَ بجمالِ الطَّبيعةِ، بينما لا نرى نحن ما حولنا من جمالٍ، رغم ما نتمتَّعُ به من بصرٍ!!



جحا ونمو الذكاء

ذهبَ جحا إلى رجلٍ معروفٍ عنه الغفلةُ وبطءُ التفكيرِ، وقالَ له:

"لقد اخترعَ العلماءُ أقراصًا مدهشةً، إذا ابتلعَ الرجلُ واحدةً منها، يصبحُ غايةً في الذكاءِ. هل تريدُ منها؟"

قالَ الرجلُ بطيءُ التفكيرِ:

"بكم القرصُ؟"

أجابَ جحا:

"بعشرةِ جنيهاتٍ."

فأعطاهُ الرجلُ الجنيهاتِ العشرةَ، وأخذَ منه قرصًا وابتلعَهُ. ثم انتظرَ دقائقَ، قالَ بعدَها لجحا:

"لم أشعرْ بأيِّ تغيير. هل كنْتَ تسخرُ منِّي، وتحتالُ لأخذِ نقودي؟"

هنا ضحكَ جحا وهو يقولُ:

"هل رأيْتَ فائدةَ الأقراصِ؟! لقد بدأت تفهمُ الأمورَ على حقيقتِها، وهذا دليلٌ مؤكَّدٌ على نموِّ الذكاءِ، وعلى فائدةِ الأقراصِ!!"



نعم للإبداع، لا لحفظ التواريخ!!

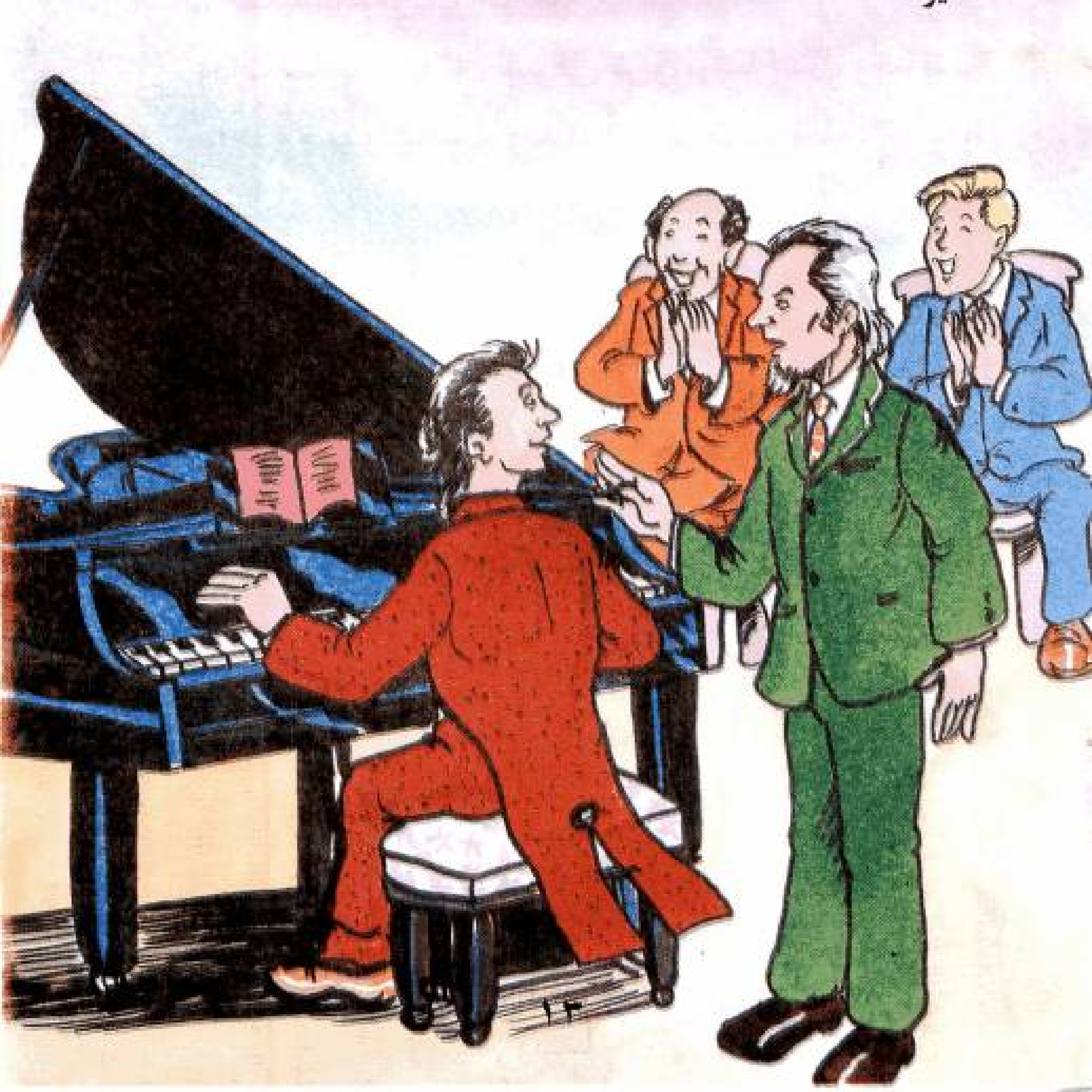
وجَّهَ أحدُ علماءِ التاريخِ نقدًا عنيفًا لمؤلِّفٍ من كبارِ المؤلفين الموسيقيين، لأنه يرتكبُ أخطاءً تاريخيةً فى "الأوبرات" التى يؤلِّفُها. وذاتَ يومٍ، اجتمعَ العالمُ والموسيقارُ فى بيتِ أحدِ الأصدقاءِ.



وجلسَ الموسيقارُ أمام البيانو، وراحَ يعزفُ ارتجالاً مقطوعاتٍ رائعةً، فانطلقَ الحاضرون يُصفِّقون له بحماسٍ.

هنا التفتَ المؤلِّفُ الموسيقيُّ نحو عالِمِ التاريخِ، وقالَ له:

"ألا ترى أن ابتكارَ وإبداعَ مثلِ هذه الموسيقى الرائعةِ، أهمُّ من معرفةِ السنةِ التى تُوفِّيَ فيها ذلك الملكُ، أو التى وُلِدَتْ فيها تلك الأميرةُ؟!!"



السيطرة على جمهور ثائر

كان الناسُ ينظرون بتقديرٍ إلى فولتير في وطنِه فرنسا، لكنه كان مُجرَّدَ رجلٍ فرنسيٍّ في نظرِ معظمِ الناسِ في إنجلترا.

لذلك فإنه، عندما زارَ فولتير لندن في سنةِ ١٧٢٧، كانت لديْهِ أسبابٌ حقيقيةٌ للخوفِ على حياتِه.

وذاتَ صباحٍ، بينما كان يسيرُ في طريقٍ بوسطِ لندن، وجدَ نفسَهُ في مواجهةِ جمهورٍ غاضبٍ، وقد تعالَتْ صرخاتُهم قائلةً: "اشنقوا الفرنسيَّ!"



تصرَّفَ فولتير بسرعةٍ كبيرةٍ، ليسيطرَ على هذا الجمهورِ الثائرِ. لقد تَراجَعَ خطوتَيْنِ إلى الخلفِ، وصاحَ قائلاً:

"أيها الرجالُ الإنجليزُ .. أنتم تُريدونَ قتلي لأنني فرنسيٌ؟ ألا يكفيني عقابًا أنني لستُ إنجليزيًّا؟!؟"

عندئذٍ لم يكتفِ الجمهورُ بالتصفيقِ له، بل رافقوه حتى وصلَ سالمًا إلى مسكنِهِ!!



تقدموا جدًّا فى السن!!

طلبَتِ المعلِّمةُ من تلاميذِ الصفِّ الخامسِ الابتدائىِّ أن يكتبوا موضوعَ تعبيرٍ عن علاقةِ الآباءِ بالأبناءِ. فبدأت تلميذةٌ موضوعَها قائلةً:

"المشكلةُ مع الآباءِ، أنه عندما يصبحُ لنا آباءٌ وأمهاتٌ، نجدُهم قد تقدَّموا كثيرًا فى السنِّ، حتى أصبحَ من الصعبِ عليهم جدًّا أن يُغيِّروا أفكارَهم وعاداتِهم ليفهمونا!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها، من الأدب الشعبى، والعربى القديم، والعالمى.